

على الطريقة



■ حسن التل

توظيف الخلاف لصالح الإسلام (٣)

ان لي رؤية واعتقاداً في هذا الموضوع يقوم على الموضوعية والحياد امام التزاماتنا المذهبية وعندما نطلقها في ساحة الفكر نستطيع ان نغير الكثير من أفكارنا سنة وشيعة، عندما نكتشف الخطأ هنا والخطأ هناك، ولعلنا نعيش هذه الروح اذا اخذنا بالمنهج القرآني في الحوار، فان الله علم نبيه: «وانا أو أياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» سبأ ٢٤. فهذا السلوك النبوي الرفيع (وهو الذي جاء بالصدق وصدق به) عندما تحدث مع الآخر تحدث بأسلوب الشك حتى لا يفرض تأثيراً على خصمه بل جعل الأمر قضية يقف الطرفان فيها في موقع الشك ليتحرك كلاهما من خلال علامات الاستفهام في الشك الي اليقين فان كان الاسلوب النبوي في هذا المستوى من الموضوعية وصفه القرآن الكريم على هذه الصورة التي لم يرق اليها أي أسلوب آخر في العالم فإين نحن اليوم في قضايا الفكرية والمذهبية من هذا النهج النبوي المتميز. فهل نستطيع من خلال مذهبيتنا ان نتطرق بأطر فكرية تخضع للنقاش للوصول الى قناعة مشتركة أو ندرک فيما لو كان اختلافنا في الجزئيات ان يبقى في نظر بعضنا مسلمين، واذا اختلفنا فليبق اختلافنا داخلياً بيننا اما في ساحة الصراع الخارجي فعلياً ان تكون جبهة واحدة لان قضايانا الوطنية ليست قضايا سنية او شيعية ولكنها قضايا فلسطين والافغان والبوسنة والشيشان والاستكبار العالمي لا يميز في حربه لنا بين سنة او شيعة فاذا عجزنا عن اللقاء في القضايا الكلامية فلنلتقي في المسألة السياسية لان الاستكبار العالمي يريد رأس الاسلام وهذا يفرض علينا ان نضيق خلافتنا لتضيق الهوة التي تباعد بيننا ولعل التجربة التي يمارسها المسلمون في جنوب لبنان مع القضية الفلسطينية تشهد على ما يمكن ان يحققه التقارب المذهبي عندما يكون الاهتمام مشتركاً.

ان ما تعرضنا له لا يشكل الا نذراً قليلاً من فيوضات هذا الرجل الظاهرة التي أسهمت إسهاماً مباشراً في نوعية الخطاب الاسلامي المعاصر وتحركت به من الاغراق في الماضي الى ساحة الصراع باليات عصرية ان لم تتجاوز المطروح في هذا العصر وتتفوق عليه فانها نفضت غبار الستين عن الكثير من القضايا واستعملت أدوات العصر وآلياته عندما طرحتها على ساحة الحوار.

ان الحديث عن العلامة طويل لما قدمه من جهد وتركه من أثر على معظم ساحات الصراع وأرى ان اختتم الحديث عن هذا العلامة العلم برويته لحرارة (الاخوان المسلمون) فهو وان كان

لا يرى تعليب الدين في حزب لان الدين بحاجة الى ساحات واسعة ليتنفس في الهواء الطلق بمختلف الوسائل والمناطق سياسية كانت أو فكرية أو تعبدية لكنه يرى حاجة المسلمين الى الحزب السياسي الاسلامي الذي ينطلق من طبيعة حركة الواقع السياسي العام لان المواجهة لا تنطلق الا من موقع تنظيمي في مرآة القيادة والقاعدة لتقوم بالتخطيط والمواجهة لإحداث التغيير فقيمة الحزب انه يؤكد وحدة التصور ويؤكد ضرورة الانضباط والتوازن في خط الحركة واثبات وجودها ووسائل حمايتها لذلك يرى ان حركة الاخوان المسلمين تعتبر من رموز التيار الاسلامي المعاصر بامتداداتها الاقليمية والعالمية كما تمثل نموذجاً للتغيير المستقبلي وقد ارتادت هذه الحركة عملية الانفتاح على الواقع الاسلامي لتكون بديلاً عن الخلافة العثمانية التي سقطت في بداية هذا القرن وما تلاها من اندفاع الغرب الى الواقع الاسلامي المتخلف الخائف المهزوم ليحدث صدمة للمفاهيم الاسلامية في وعي الانسان المسلم حيث برزت على امتداد الساحات العربية والاسلامية نماذج متفرقة تستهدف اقصاء الواقع الاسلامي عن جذوره الثقافية وان كان محمد عبده ومحمد رشيد رضا قد حاولا التوفيق بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي فان الشهيد حسن البنا نهض ليعيد الذاكرة التاريخية للحكم الاسلامي ومن هنا كان انطلاق حركة الاخوان لإعادة هذا المسار التاريخي في حركة الحاضر نحو المستقبل.

فقد كان الشهيد حسن البنا يتميز بطاقة من الوعي تجاوزت الواقع السياسي لتهم بالمذاهب الاسلامية واختلافاتها بهدف التلاقي والتعاون لما فيه مصلحة الاسلام وقد أفرزت هذه الحركة الكثير من المفكرين والحركيين والمجاهدين فالأخوان حقيقة مثلوا عمقاً كبيراً في وعي الأمة وان كانت له من ملاحظة فإنه يلخصها بان هذه الحركة كانت تمثل عناوين عامة لا تمثل منهجاً للتغيير انها استطاعت ان تعطي جواً إسلامياً يتأثر بالواقع التي يعيش فيها ولكن من العدل الاعتراف بان اغلب الحركات الاسلامية التي جاءت من بعدها انطلقت من رحمها مع وجود خصوصيات لهذه الحركات في فهم المفردات الفكرية والسياسية الموجودة في العالم.

من كتابه الشهود الصادر / عام ١٩٩٧

الأسرة وأثرها في التربية

■ د. ماجد أحمد المومني

الأسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد الطفل بالتربية، لأن غريزة الأبوة والأمومة هي التي تدفع بكل من الأب والأم إلى القيام برعاية الطفل وصيانتته، ولا سيما في السنوات الأولى من طفولته... أنها غريزة حفظ البقاء للجنس البشري.

وعلماء النفس يرون أن مرحلة الطفولة المبكرة هي أهم مراحل الحياة في تاريخ الناشئ، وقد دلت الإحصاءات على أن نسبة الأطفال الذين يمرضون في مرحلة الطفولة المبكرة أكبر في الأسر الجاهلة والفقيرة.

والطفل يتأثر بكل ما يحيط به من منبهات Stimuli منزلية، فهو يتعلم من الأسرة:

- اللغة القومية، واللهجة التي يتكلمها الوالدان.
- يتعلم كل ما يحتاج إلى معرفته فهو دائم التساؤل.
- وإذا نظرنا إلى عادات الأكل والشرب والمشى والنوم واللبس ومعاملة الناس، وجدنا أن الأسرة هي العامل الفعال والأول في تكوين هذه العادات. ذلك أن الطفل يحاكي الكبار من أفراد الأسرة، والأسرة عادة تقوم بتهديب سلوك الطفل الغريزي.

والطفل يتعلم الحب والكرامية في منزل والديه، ومن صلة أفراد الأسرة بعضهم ببعض. وقد وجد المربون من دراسة بعض الحالات، أن العصبية عند الأطفال سببها سوء معاملة الوالدين للأطفال. فالأم التي تخوف أبنها تخلق منه رجلاً جباناً، وإذا كان الأب يتحيز لبعض الأخوة على الآخرين، فإن ذلك يكسبه شعوراً بالغيرة، فالمنافسة، فالكرامية - كما هي الحال في الأسرة التي يتزوج فيها الأب أكثر من زوجة.

البيئة المحيطة بالطفل

نظام الحياة المنزلية، وما يحيط بالطفل من أثاث وأثاث وألعاب له أثر كبير في تكوين ذوق الجمال عنده. والطفل يعتقد دين أسرته وتقاليدها وعاداتها ومثلها العليا، فسلكه متأثر بسلك والديه وإخوانه ومحيطه، وينعكس كل ذلك على سلوكه وتفكيره ونظرتة للحياة، ومذهبه واعتقاداته.

ويرى علماء الاجتماع والتربية أن الأسرة هي أصل بيئة لتربية الطفل وتكوينه، ولا سيما في سنواته الأولى، فالصلة بين الوالدين والطفل أقوى ما تكون بينه وبين أية جماعة أخرى. غير أن جهل الأسرة قد يكون سبب النتائج فيندفع أحد وراء حبه لطفله وعاطفته نحوه إلى تدليله، فلا يستخدمان الحزم والحكمة في تعاملها معه وفي الوقت المناسب.

أو يكون الوالدان قاسيين على الطفل، وبذلك يصبح الناشئ ضحية قسوة والديه، فلا عجب أن يترك للمقادير، فيشعر بالحرمان وفقدان الحنان وعدم الانسجام من المحيطين، فتتولد لديه رغبات الانتقام والتمرد.

هذا ومعظم الآباء والأمهات لا يستطيعون تربية أطفالهم، إما لأنهم مشغولون طوال نهارهم أو لأنهم

مرضى، وفي هذه الحال نجد الحاجة ملحة لإرسال الأطفال إلى مدارس الحضائنة... لا باعتبارها بديلاً عن جو الأسرة، ولكن باعتبارها عاملاً للأسرة على تربية الأطفال. وينادي بعض المربين بأن تكون دور الحضائنة ملازمة لأماكن العمل وقريبة منها... وأن تكون مصاحبة لكل مدرسة، حتى تتمكن الأمهات من رؤية أطفالهن في الفسح وأوقات الفراغ.

وقامت جمعيات حماية الأسرة بالمطالبة بإجازات أمومة أطول مما هو متعارف عليه الآن... كما طالبت بفترات إجازة أمومة بدون راتب تصل إلى سنة، لتتولى الأم العاملة تربية أطفالها في سنواتهم الأولى، المكان الطبيعي للطفل أن يعيش في كنف والديه وفي أسرته، وأن تعذر ذلك فلا بد من مساعدة دور الحضائنة والرعاية، ولكنها قد لا توفر له الجو المثالي الذي يلقاه في أسرته... وهذا الجو المثالي الذي يلقاه الطفل يتعكر في حالتين... الطلاق... وعمل المرأة الأم - الأم العاملة. وسنبحث ذلك.

الأم العاملة وأثر ذلك على الأطفال

أثبتت الدراسات التربوية الموضوعية عن التعصب، أن ارتفاع معدلات جنوح الأحداث وجرائم الشباب، يرجع في جذوره إلى أحد أمرين هما:

- الطلاق.
- وعمل المرأة الأم.

ونتطرق إلى موضوع الأم العاملة... إذ أنه زاد من معدلات الطلاق في العصور الحديثة، فالتحاق المرأة لمجالات العمل المختلفة، جعلها تفقد اهتمامها ببيتها وزوجها وأطفالها... تمسكاً منها بشعارات زائفة ومضللة، والتي تتحدث عن حق المرأة في العمل ومساواتها بالرجل وتصرف على الخروج للعمل حتى ولو لم تكن في حاجة إلى الدخل الذي تحصل عليه من عملها، زاعمة بدافع من المكابرة أنها تؤكد ذاتها ووجودها وتتبت استقلالها عن الرجل، وتساهم في عملية التنمية. فاقتمت بهذه المكابرة ميادين للعمل لا تتناسب مع أنوثتها وطبيعتها تكوينا فزاحمت الرجال في المناجم، والأعمال الشاقة، واستغلتها أرباب المال والأعمال لتكون دمية عارية في الإعلانات ونشاط البارات الليلية وأفلام الجنس، فأفقدوها أنوثتها وأموحتها... وتركوا أطفالها للضياع والتشرد والانحراف. أما عن الذين لا يمانعون بعمل المرأة على أن يكون العمل ملائماً لأنوثتها وطبيعتها الفطرية مثل التدريس والتمريض وبعض الأعمال التي لا تكون به وحيدة بين الرجال فيأكلونها بنظراتهم ولبثمتونها بالسنتهم وتعليقاتهم.

كما أن العمل الأساسي لها هو تربية أطفالها... فلا تدخل عليه عملاً آخر إذا لم تكن بحاجة إلى العمل والوظيفة... فالكثيرات من الأمهات العاملات يعتبرن العمل وجاهة ومكانة اجتماعية... وفي ذلك ضلال وضياع للأطفال وسبب من أسباب إهمال الأزواج وزيادة حالات الطلاق.

المرأة العاملة تعود إلى بيتها منهوكة القوى مشوشة الفكر مع أطفالها، فلا تستطيع تلبية رغبات زوجها ولا تربية أولادها، فتضيع المحبة والمودة تدريجياً بينها وبين

زوجها... وتهمل بالتدريج تربية أطفالها... فتكون كالمسافر المنسب الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى... زعيمات الحركة النسائية إما مطلقات أو عوانس فاتهن قطار الزواج ونعمة الحصول على أطفال.

الطلاق فيه دمار الأسر والأطفال

الطلاق من النظم الاسلامية التي نالت هجوماً من المستشرقين والمبشرين وأعداء الإسلام، فتناولوه بالعداء متناسين أنه أبغض الحلال إلى الله الطلاق. وأنه لا يكون إلا عند استحالة العيش معاً بين الأزواج... والقرآن يحض على عدم قطع العلاقة الزوجية إلا بعد أن تبذل الجهود للإصلاح بين الزوجين....

قال تعالى: " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أن يريداً إصلاحاً يوفق الله بينهما..." سورة النساء - ٣٥.

ولا يصبح الطلاق نهائياً إلا بعد صدوره ثلاث مرات، بين كل واحدة والأخرى شهر على الأقل... فطلاق الغضبان يعتبر طلاقاً واحدة، وتسمح له فتوى القاضي الشرعي بإرجاع زوجته.

والطلاق لا يكون إلا بعد استحالة المعيشة بين الأزواج... وحتى المذاهب الكاثوليكية في الغرب أبحاث الطلاق بعد أن وجدوا أنه منفذ لمن استحالت عليهم معيشة الأزواج... فهو ليس هدفاً منهدفاً لمن شددت عليه منافذ العيش مع زوجته لا تطيقه ولا يطيقها.

وفي كل الأحوال فالطلاق لا بد من تفادي أسبابه ومن هذه الأسباب ما يلي:

- ١- عمل المرأة الأم في مجالات لا تتناسب مع أنوثتها وطبيعتها... للمكابرة في شعارات أثرت على استقرار حياتها الزوجية، ومن هذه الشعارات حقوق المرأة... ومساواتها بالرجل والاستقلال عن الرجل. والخالق سبحانه وتعالى يقول: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة" البقرة - ٢٢٨.

- ٢ أكثر المطلقات لا يعترفن بقوامة الرجل على الأسرة وحقه في هذه القوامة، مع أن الله خالق الكون يقول سبحانه وتعالى: "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله" النساء - ٣٤.

- ٣- اختفاء المودة والرحمة بين الأزواج تدريجياً من أسباب الطلاق... وهذا الاختفاء يكون مصاحباً للإرهاق والتعب للمرأة العاملة. فيختفي معها سكن النفس. قال تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون" الروم - ٢١.

- ٤- ومع كل ذلك فالله يطلب من الرجال حسن المعاشرة الزوجية، وطلب منهم توسيع صدورهم على أخطاء زوجاتهم. قال تعالى: "وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً

كثيراً" النساء - ١٩. ومن عظيم تقدير الإسلام للعلاقة الزوجية وقديسيتها أنه وصفها بالبئاس قال تعالى: "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن" البقرة - ١٨٧.

إن عودة للصواب والرشد ودراسة للبحوث العلمية الموضوعية... تفيد أن المكابرة بعمل المرأة وحققها بالاستقلال عن الرجل ومساواتها وإلغاء القوامة هي من أسباب الطلاق.

- عمل المرأة يجب أن يكون للحاجة أولاً، ولأن يكون مناسباً لأنوثتها وتكوينها... لا أن يكون تبرجاً وهدماً لأسرتها وأطفالها وإهمالاً لزوجها.

- لم يشترط الطلاق إلا بعد انسداد المنافذ للعيش معاً بين الأزواج... وهو إن حصل فصاحه الأطفال وضياعهم... والحكمة تقضي المحافظة على هذا الرباط المقدس من كلا الزوجين.

دور المدرسة كمكمل لدور الأسرة

دور المدرسة كمكمل لدور الأسرة في تربية الأطفال وتنشئتهم حيث أنها:

١- المدرسة بيئة تربوية مضافة، تعلم الأطفال القراءة والكتابة، وتعزز لديهم الاتجاهات التي اكتسبوها في أسرهم من عادات وتقاليدهم ومثلها عليها.

أنها تعمل على توسيع أفق الأطفال من حيث الزمان والمكان والتعامل مع الآخرين، فتلطعه على التراث الحضاري لوطنه وأمهته... وتعلمه العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتصلق فيه روح البحث الإبداع وتعدده لحياته المستقبلية، فدورها كمكمل لدور الأسرة.

٢- المدرسة بيئة تربوية صاهرة: حيث أنها تعمل على توجيه ميول ونزعات الطلاب من مختلف الفئات والطبقات في الأمة، وتصهرهم في بوتقة واحدة انتماء للوطن ونماء في القدرات والاستعدادات والمهارات التي يحتاجها الفرد والمجتمع، إنها المكان المناسب لصقل هذه المهارات وصهرها.

٣- إذا تضافت جهود المدرسة مع الأسرة في تربية الأطفال فإن ذلك يعزز:

- تعلم اللغة القومية واللهجة المحلية.
- الحفاظ على التراث الحضاري للأمة من دين ولغة وتاريخ وعقيدة ومثل عليا وعادات وتقاليدهم.
- النماء والانتماء لأفراد الأمة.
- توفير حاجة الأمة بكوادر مؤهلة ومدربة ومتعلمة. وهذا وباللغة التوفيق....

المراجع

- علم النفس التربوي - الأستاذ الدكتور - فاخر عاقل - جامعة دمشق.
- التربية وطرق التدريس - الأستاذ الدكتور - عبد العزيز القوصي - القاهرة.
- فلسفة التربية - الأستاذ الدكتور هاني عبد الرحمن - الجامعة الأردنية.
- محاضرات في علم نفس التعلم - الدكتورة أروى العامري - الجامعة الأردنية.